



إذا كانت مرحلة الحرب هي مرحلة الوحدة والانسجام بين الحلفاء، فإن مرحلة السياسة هي مرحلة الخلافات والتبنيات، هذه قاعدة أساسية في العلاقات الدولية. ومن هنا، يمكن فهم انتقال الخلافات الروسية - الإيرانية في سوريا من القوة إلى الفعل، وانتقال روسيا وإيران من مرحلة الصمت والسكون إلى مرحلة العلن والتصريف. إذ تعلن موسكو صراحة ضرورة خروج إيران والقوات التابعة لها من سوريا، على الرغم من المحاولات الروسية اللاحقة لتهذيب تصريحات الكرملين، وهكذا يرتفع منسوب الرد الإيراني.

قبلت التصريحات الروسية الإيرانية أول مرة بخطوات عملية: بدأت موسكو مضايقة القوى التابعة لإيران (القصير)، وإيران تعيد ترتيب وجودها في درعا، عبر تغيير اللباس العسكري، ضمن مشهد يحمل ما يكفي من السخرية تجاه روسيا. لكن هذا الشقاق يجب النظر إليه من داخل الوحدة التي تجمع المحور الروسي - الإيراني، لفهم مستلزمات العلاقة التي تجمع بينهما، وتمنع الآخرين من الانحدار وراء أوهام تربك التخطيط والفعل السياسيين لمواجهة إيران في سوريا.

هناك خلافات بين الجانبين، بدأت أخيرا على المستوى السياسي، مع انعقاد مؤتمر سوتشي، والتبنيات الحاصل حيال ورقة المبعوث الأممي، ستيفان دي ميستورا، واللجنة الدستورية، ثم تجلت اقتصاديا مع العقود التي أبرمتها النظام السوري مع روسيا، ثم استراتيجيا مع إلغاء موسكو اتفاقيات عسكرية واقتصادية كبيرة بين طهران ودمشق، منها إنشاء قاعدة عسكرية إيرانية في طرطوس، ومصفاة لتكريير النفط.

المشكلة التي تواجهها روسيا مع إيران في سوريا تكمن في ثلاث مستويات: أن الحضور الإيراني في مرحلة "ما بعد المعارك الكبرى" ساهم في إدخال إسرائيل ضمن المعادلة السورية بقوة، بعدها كان حضورها مقتضا على مستوى معين. الحضور الإيراني القوي في سوريا أحد أهم الأسباب وراء انعدام التقارب الجدي بين موسكو وواشنطن. الحضور العسكري الإيراني

والدعم المالي الذي تقدمه طهران لدمشق، والتماهي بين العاصمتين إزاء الحل السياسي، عوامل أضعفـت قدرة روسيا على ممارسة ضغوط كبيرة على النظام.

ولمواجهة هذا الواقع، تحتاج روسيا إلى تعاون من الولايات المتحدة تحديداً، لن يجد سبيلاً إلى الأرض، من دون حـصول تفاهمـات واسـعة في سوريا. وتحـتاج روسـيا إلى تقديم إـغراءـات إلى الولايات المتحدة، لرسم مـسارـ الحلـ فيـ سورياـ. ولـذلكـ يمكنـ القـولـ إنـ تصـرـيـحـ الرئيسـ الروسيـ، فـلـادـيمـيرـ بوـتينـ، وـمـنـ ثـمـ تـفـسـيرـاتـ مـبعـوثـ الرـئـيـسـ الروـسـيـ الـخـاصـ إلىـ سورياـ، أـلـكـسـنـدـرـ لـافـرـينـتـيـفـ، تـبـدوـ مـوجـهـةـ إـلـىـ واـشـنـطـنـ، أـكـثـرـ مـاـ هيـ إـلـىـ طـهـرـانـ. وـالـسـبـبـ أـنـ لـيـسـ لـدـىـ مـوـسـكـوـ الـقـدـرـ عـلـىـ إـرـغـامـ إـرـانـ لـلـخـرـوجـ مـنـ سـوـرـيـةـ، وـلـاـ الحـدـ مـنـ قـوـةـ إـرـانـ دـاـخـلـ الـجـغـرـافـيـاـ السـوـرـيـةـ.

ويـفرضـ هـذـاـ الـوـاقـعـ عـلـىـ مـوـسـكـوـ اـتـبـاعـ سـيـاسـةـ الـخـطـوـةـ خـطـوـةـ، لـتـقـلـيـصـ الدـورـ الإـلـيـانـيـ فيـ سـوـرـيـةـ، مـعـ مـاـ يـتـطـلـبـ ذـلـكـ مـنـ تـرـتـيـبـ بـعـضـ الـمـلـفـاتـ بـيـنـ الـقـوـيـاتـ الإـلـقـلـيمـيـةـ، بـحـيـثـ تـكـوـنـ مـقـدـمـةـ لـخـطـوـاتـ لـاحـقـةـ.

لـاـ تـخـرـجـ عـنـ ذـلـكـ تـفـاـهـمـاتـ الـمـعـلـنـةـ بـيـنـ رـوـسـيـاـ وـإـسـرـائـيـلـ حـيـالـ الـجـوـلـانـ، وـكـذـلـكـ تـفـاـهـمـاتـ الـمـضـمـرـةـ بـيـنـ رـوـسـيـاـ وـالـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ حـيـالـ دـرـعـاـ. وـلـاـ يـخـرـجـ عـنـ ذـلـكـ أـيـضـاـ إـلـغـاءـ مـوـسـكـوـ تـسـلـيـمـ دـمـشـقـ مـنـظـوـمـةـ صـوـارـيـخـ إـسـ 300ـ، وـتـصـرـيـحـ مـسـتـشـارـ بوـتـيـنـ الـمـكـلـفـ بـالـتـعـاـونـ الـعـسـكـرـيـ وـالـتـقـنـيـ، فـلـادـيمـيرـ كـوـجيـنـ: "بـيـعـ هـذـهـ الـمـنـظـوـمـةـ الصـارـوـخـيـةـ إـلـىـ سـوـرـيـةـ لـيـسـ مـنـ اـهـتـمـامـاتـ مـوـسـكـوـ، وـلـدـىـ جـيـشـ السـوـرـيـ كـلـ مـاـ يـحـتـاجـهـ لـمـوـاجـهـةـ أـعـدـائـهـ". وـيـوـحـيـ هـذـاـ التـصـرـيـحـ بـأـنـ التـهـدـيـدـ الإـسـرـائـيـلـيـ لـاـ يـشـمـلـ الـنـظـامـ السـوـرـيـ، بـقـدـرـ مـاـ يـشـمـلـ إـرـانـ.

وـقـدـ تـنـتـهـيـ التـرـتـيـبـاتـ الـتـيـ تـعـمـلـ عـلـيـهاـ رـوـسـيـاـ بـاـنـسـحـابـ إـرـانـ مـنـ الـجـنـوبـ السـوـرـيـ، وـهـذـاـ ثـمـ بـسـيـطـ قـدـ تـدـفـعـ إـرـانـ، طـالـماـ لـيـسـ لـدـيـهاـ وـجـودـ عـسـكـرـيـ قـوـيـ فـيـ الـجـنـوبـ، لـكـنـ الـرـوـسـ سـيـكـتـشـفـونـ مـجـدـداـ حـدـودـ قـوـتـهـمـ فـيـ سـوـرـيـةـ، وـأـلـهـمـ غـيـرـ قـادـرـينـ عـلـىـ فـرـضـ أـجـنـدـاتـ كـبـيرـةـ، مـنـ دـوـنـ تـعـاـونـ دـوـلـيـ، لـاـ سـيـمـاـ مـنـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ الـتـيـ تـفـتـقـدـ رـؤـيـةـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ وـاـضـحـةـ الـمـعـالـمـ تـجـاهـ الـتـعـاطـيـ مـعـ إـرـانـ.

يعـقـدـ هـذـاـ الـوـضـعـ جـهـودـ رـوـسـيـاـ حـيـالـ إـرـانـ وـيـرـبـكـهـاـ، فـيـ ظـلـ عـدـمـ اـسـتـجـابـةـ النـظـامـ السـوـرـيـ لـلـمـطـالـبـ الـرـوـسـيـةـ، وـهـوـ الـذـيـ بـحـاجـةـ إـلـىـ رـوـسـيـاـ أـكـثـرـ مـنـ إـرـانـ سـيـاسـيـاـ، لـكـنـ بـحـاجـةـ إـلـىـ إـرـانـ أـكـثـرـ اـقـتـصـادـيـاـ. وـالـأـهـمـ أـنـ النـظـامـ يـسـتـفـيدـ مـنـ بـعـضـ الـتـبـاـيـنـاتـ بـيـنـ مـوـسـكـوـ وـطـهـرـانـ، فـمـثـلـ هـذـهـ الـتـبـاـيـنـاتـ تـعـطـيـهـ هـامـشـاـ مـنـ الـمـنـاـوـرـةـ لـلـاـسـتـفـادـةـ مـنـ الـطـرـفـيـنـ أـكـثـرـ مـاـ يـنـبـغـيـ، وـهـوـ يـفـضـلـ وـجـودـ قـوـتـيـنـ دـاعـمـتـيـنـ لـهـ أـكـثـرـ مـنـ قـوـةـ وـاحـدـةـ، لـأـنـهـ عـنـ ذـلـكـ سـيـصـبـحـ أـسـيـراـ لـهـاـ.

قـبـلـ النـظـامـ الـمـقـارـبـةـ الـرـوـسـيـةـ فـيـ الـجـنـوبـ السـوـرـيـ إـلـىـ حـدـ مـاـ، خـصـوصـاـ فـيـ مـاـ يـتـعـلـقـ بـوـصـولـهـ إـلـىـ خـطـ الـاـشـتـيـاـكـ فـيـ الـجـوـلـانـ، وـالـوـصـولـ إـلـىـ الـحـدـودـ الـأـرـدـنـيـةـ، لـكـنـ يـرـفـضـ مـبـدـأـ الـاـنـسـحـابـ الـإـلـيـانـيـ مـنـ أـيـةـ بـقـعـةـ جـغـرـافـيـةـ لـاعـتـيـارـاتـ إـلـقـلـيمـيـةـ. وـقـدـ يـقـبـلـ النـظـامـ بـضـبـطـ الـحـضـورـ الـإـلـيـانـيـ وـسـلـوكـهـ، لـكـنـ مـبـدـأـ الـاـنـسـحـابـ، وـإـنـ جـزـئـيـاـ، يـجـبـ أـنـ يـرـتـبـطـ بـاعـتـيـارـاتـ اـسـتـرـاتـيـجـيـةـ، وـالـأـهـمـ أـنـ يـخـضـعـ لـحـاجـةـ النـظـامـ، وـلـيـسـ لـحـاجـةـ رـوـسـيـاـ.

وـكـلـامـ الـأـسـدـ وـاـضـحـ، مـعـ مـاـ فـيـهـ مـنـ رـسـائـلـ إـلـىـ رـوـسـيـاـ "الـمـعـرـكـةـ طـوـيـلـةـ وـمـسـتـمـرـةـ.. وـهـنـاكـ حـاجـةـ إـلـىـ هـذـاـ الـحـلـ الـثـلـاثـيـ، أـيـ الـسـوـرـيـ الـإـلـيـانـيـ رـوـسـيـ".

المصادر:

العربي الجديد